

التنور دفعًا، ثمَّ لا تلبث أن تُخرجه بغصنها ذاك اليابس من سعف النخل، وما تزال ترقص رغيًا وتخرج رغيًا حتى يرتفع الضحى والنساء من حولها يداعبنها ويتلاطن بأحاديث مختلفة، فيها الجد وفيها الهزل وفيها الشكوى وفيها المؤاساة.

قال خالد وقد كاد يُردُّ إلى صباه: فما شأن هذا كله وما نحن فيه؟ قال سليم: شأن هذا كله وما نحن فيه، أنَّ نفيسة كانت بين النساء في قاعة التنور، فقصّت أم رضوان قصة سمعتها نفيسة فصدقته وهمت أن تحققها، فلما رُدَّت عن ذلك بعد جهد أصابها ما هي فيه الآن. قال خالد: وما قصة أم رضوان هذه؟ قال سليم: كان النساء يتجاذبن أحاديث الجن وأحاديث الجنّيات خاصة حين يظهرن إذا تقدم الليل ويرقصن في ضوء القمر. فقالت أم رضوان: لقد رأيت في قريتنا أمرًا عجبًا، رأيته بنفسي فلا أستطيع أن أكذبه، ولو حدثني به أحد غيري لرفضته كل الرفض. قال النسوة: وماذا رأيت يا أم رضوان؟ قالت: إنني أخاف أن أقصّ عليكم ما رأيت. قال النسوة: بل قصيه علينا. وألحن في ذلك وفي نفوسهن ثقة بأنَّ أم رضوان لم تر شيئًا، ولكنه الشوق إلى القصص والرغبة في الشعور بالخوف وهذه اللذة الغريبة التي يجدها في إثارة الفزع في نفوسهن. قالت أم رضوان: كنت أخبز في قريتنا لجارة لنا ذات مساء كما أخبز الآن، وكانت صاحبة الدّار أم عثمان جالسة معي بين أتراب لها وجارات، وكنا نتحدث كما نتحدث الآن، وإذا امرأة من أهل القرية تدخل علينا متفزعّة متفجعة، فإذا سألناها عما بها زعمت لنا أنها خرجت مع صاحباتها من آخر الليل يملأن جرارهن، وإنهن لعائدات يُغنين في صوت خافت يستأنسن بالغناء من وحشة الليل، وإذا هنَّ يسمعن أصواتًا لا يكنن يتبيننّها، فيصغين ويمددن أبصارهن فيرين نساء يلطن وجوههن وهن يتغنين بمثل ما تتغنى به النادبات، فيقلن:

يا ساريات في السحر	يسعين في ضوء القمر
إذا بدا الصبح الأغر	فقلن يا نشر الزهر
إن أبا يحيى عمر	أصابه سهم القدر
فهو صريع محتضر	هل لك فيه من وطر

قالت أم رضوان: ولم تك هذه المرأة تتم حديثها حتى رأينا أم عثمان قد ثارت مولولة، فنقضت شعرها، ومزّقت ثيابها، وجعلت تلطم وجهها، وتضرب صدرها، ونحن نحاول أن نردها إلى الهدوء ونسألها عن أمرها، ولكنها بعد حين تثوب إلى نفسها قليلاً